إشكالية الهوية والإنتماء

سلسلة الاستراليون العرب ـ الجزء الاول

إشكالية الهوية والإنتماء

علي حمدان

المركز الاسترالي العربي للدراسات السياسية
AACPS
Arab Australian Centre For Political Studies

المركز الاسترالي العربي للدراسات السياسية
Arab Australian Centre For Political Studies
AACPS

العنوان البريدي: Arab Australian Centre For Political Studies
POBox: 814
RIVERWOOD, NSW 2210, AUSTRALIA
العنوان الإلكتروني: www.aacps.com.au
البريد الالكتروني: administrator@aacps.com.au

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز
الطبعة الاولى
سيدني: كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥

المحتويات

اهداء ٧

المقدمة ٩

الفصل الاول : في الوطن الجديد... ..... ١٣
من عالم "استراليا البيضاء" الى فضاء
"التعددية الثقافية"

الفصل الثاني : في الهوية المركبة... ..... ٢٩
الاسترالية العربية

الفصل الثالث : في مفهوم القوة وبناء المرجعية.. ..... ٦٧
تداعيات الماضي، اشكالية الحاضر
وتحديات المستقبل

إهداء

الى كل اســترالي عـربي منفتح على الحياة وتحدياتها.. ومؤمن بذاته، وبالقدرة على الفعل الواعي والهــادف والمنظم لتجاوز الصعاب والعقبات، والسير على طريق التقدم الاجتماعي باتجاه بناء غد افضل لنا ولأبنائنا واحفادنا وللبشرية جمعاء وذلك بعيداً عن التزمت والفئوية والتمييز والعنصرية والعدوانية.

علي حمدان

المقدمة

"إشكالية الهوية والإنتماء" هو الجزء الاول في سلسلة، ستصدر تباعاً، تحت عنوان "الاستراليون العرب". تهدف هذه السلسلة الى المساهمة في صياغة رؤية عامة، ووعي جماعي للمهاجرين العرب وابنائهم واحفادهم في استراليا، وذلك من خلال انتاج حوار وافكار ومعرفة حول ظروفهم التاريخية الجديدة.

تنطلق هذه السلسة البحثية من محورية الوطن الجديد والتحديات والإشكاليات والآفاق التي يطرحها هذا الواقع النوعي في كافة المجالات الرئيسية لحياة ابناء لغة الضاد.

وفي ظل العولمة والثورة الهائلة في مجال الإتصالات والمواصلات وتحول العالم الى قرية صغيرة تتفاعل، تكاملا وتناقضا، سلما وحربا، في مختلف القضايا التي تواجهها البشرية، من المستحيل علينا سبر اغوار الهوية الجديدة وتداعياتها بعيدا عن التفاعلات الحيوية مع القضايا العربية في ظل الاوضاع الدولية الراهنة.

فهناك، وكما تبين الوقائع الحالية، ارتباط مباشر وعضوي بين ما يحدث في الوطن العربي والعالم والدياسبورا وذلك من خلال تفاعلات موضوعية وذاتية مع الاحداث والتحولات الجارية.

التفاعل هنا يأخذ طابعا جدليا، فما يجري في المجتمعات العربية، تقدما او تراجعا، بابعاده الداخلية والخارجية، يؤثر مباشرة في المهاجر العربية وفي المقابل، فان اوضاع الدياسبورا نفسها ومكانتها في المجتمعات الجديدة، ومدى نفوذها وامكانياتها، تؤثر باشكال وابعاد مختلفة في المجتمعات العربية... الامر الذي يطرح حاجة الطرفين الموضوعية لبعضهما البعض من اجل التعاون والتناغم والتكامل في المواجهة الايجابية البناءة للتحديات.

في كل هذا تطمح سلسلة "الاستراليون العرب" الى تقديم فلسفة ايجابية في التعاطي مع الظروف التاريخية الجديدة، وهي تتجسد في التركيز على صياغة رؤية لذاتنا، ووعي جماعي لواقعنا، ومفاهيم استراتيجية للعمل والبناء وذلك بعيدا عن منطق ردات الفعل واسلوب الرفض والمواجهة السلبية للتحديات، وبعيدا ايضا عن ممارسة الاستيراد العشوائي من اوطاننا العربية للشعارات والمقولات الجاهزة والنسخ الببغائي للاشكال والانشطة والتحركات.

القضية المفصلية هنا، ان هجرتنا الى استراليا والاستقرار فيها، تختلف جوهرياً عن الهجرة لفترة زمنية محددة الى بلد آخر، قد تطول او تقصر، والعودة بعدها الى الوطن الام.

استراليا فعلياً، وبعيداً عن أية مشاعر وتفاصيل، هي "بيتنا" ومستقبل اولادنا واحفادنا... اي، باختصار، هي وطننا الجديد، والذي يحدد بهذه الصفة، وموضوعياً، كافة الجوانب الرئيسية لحياتنا بما في ذلك قضية التعاطي بالشأن العام.

هل يعني هذا الكلام الانسلاخ عن اوطاننا الام والتخلي عن قضايا مجتمعاتنا في العالم العربي... لا مجال حتى للتفكير في هكذا اطروحات، ولكن القضية هنا تتمثل في كيفية فهم العلاقة التي تربطنا من موقعنا النوعي التاريخي الجديد، كمواطنين استراليين، باوطاننا الام.

من هذا المنطلق، وبالرغم من اجواء المواجهات الساخنة، من إحتلالات وأزمات حادة في اوطاننا العربية، الى مناخات العنصرية و"الوطنية الامبريالية" وما يسمى بـ "الحرب على الارهاب" و"إعادة تأهيل" العالم العربي والاسلامي، السائدة في الدول الغربية... فاننا في هذه السلسة ننطلق من ضرورة الانفتاح على "الآخر"، والتفاعل العقلاني المسؤول مع اطيافه المختلفة، محاولين بذلك المساهمة في بناء نموذج انساني لحوار الحضارات وتداخلها وتوارثها بعضا عن بعض.

في هذا السياق نطرح الجزء الاول من سلسلة "الاستراليون العرب" والذي يبحث في ماهية الهوية الجديدة للمهاجرين العرب، وبالاخص لابنائهم واحفادهم في الوطن الجديد. ان اختيارنا "إشكالية الهوية والإنتماء" لان تكون موضوع بحثنا الاول يعكس الاهمية القصوى لدى الفرد – مقيماً في وطنه الام ام في وطنه الثاني – لتحديد هويته وهوية الجماعة التي ينتمي اليها... فسؤال الهوية هو السؤال الوجودي الاول عند الفرد والجماعة.. من أنا؟.. من نحن؟

واذا كان تحديد الهوية بالنسبة للمقيم في وطنه الام يأتي عفوياً وتلقائياً – وان لم يكن كذلك في حالتنا نحن العرب – فان تحديد الهوية بالنسبة للمقيم في وطنه الثاني (والمقصود هنا الوطن الجديد) يبدو محفوفاً بالإشكاليات والصعوبات ويحتاج الى العديد من الدراسات والاجتهادات.

ان الإجابة على هذا السؤال، او لنقل التفاعل معه، يحدد الى درجة كبيرة كافة النشاطات الرئيسية في حياة الفرد والعائلة والجماعة... بدءاً من الجوانب الاقتصادية مرورا بالقضايا الثقافية وصولا الى العمل السياسي.. بمعنى ان تحديد الانسان لهويته وهوية الجماعة التي ينتمي اليها.. اي لوجوده نفسه، يحدد في نهاية المطاف طبيعة قراراته في الكثير من مناحي الحياة الاجتماعية. ومن الواضح انه لا يوجد إجماع على تحديد هويتنا الجديدة على ضوء الظروف التاريخية الناشئة بفعل الهجرة، وهذا ما نحاول الاسهام فيه عبر سلسلة

"الاستراليون العرب" ولا سيما في بحثنا الاول.. "إشكالية الهوية والإنتماء".

يتكون هذا البحث من ثلاثة فصول. في الفصل الاول تم التوقف امام استراليا، كدولة ومجتمع، وذلك في محاولة لإلقاء الضوء على المسار التاريخي لتشكيل هذا البلد وتطوره وخصوصياته، وبالتالي كيفية انعقاد حالنا كمهاجرين عرب في هذا الفضاء المجتمعي الجديد.

بعد تقديم تصور عام للمجتمع الاسترالي وآفاق تطوره، يعالج الفصل الثاني إشكالية الهوية الوطنية الاسترالية، ويبين بالمعطيات المادية المستندة على الاحصائيات الرسمية، من منظار التركيبة الديموغرافية، الطابع المركب السائد لهذه الهوية في المرحلة التاريخية الراهنة. وفي هذا السياق يشير البحث الى ان الهوية المركبة الاسترالية العربية هي التعبير المكثف، الموضوعي والاكثر جوهرية، لواقع المواطنين المتحدرين من البلدان العربية، مبينا ان الثقافة تلعب دورا محوريا على هذا الصعيد.

من هذا المنطلق، وعلى اساس الاحصاء السكاني العام الاخير سنة ٢٠٠١، يتوقف الفصل الثاني امام التركيبة الديموغرافية للاستراليين العرب، فيشير الى تعدادهم العام وتوزعهم الجغرافي وانتماءاتهم القطرية والدينية، ومستوى الكفاءات والعمالة السائدة في صفوفهم.

على اساس هذه المعطيات يعالج الفصل الثالث، بروحية نقدية، الواقع الملموس للجالية العربية. وهنا يبين البحث ان التحدي الاكبر الذي يواجهنا في الوطن الجديد، بعد تحديد هويتنا، هو بناء مرجعية عامة قادرة على احتضان تلك الهوية وتجاوز الانقسامات الالغائية السائدة في صفوفنا وخلق الظروف المساعدة للارتقاء باوضاعنا وتعزيز نفوذنا وهيبتنا في المجتمع الاسترالي الاوسع.

الفصل الاول

في الوطن الجديد...

من عالم
"استراليا البيضاء"
الى فضاء
"التعددية الثقافية"

للوهلة الاولى، يحتار المرء من اين يبدأ في دراسته لنشوء وتطور استراليا، دولة ومجتمعا. فالتاريخ الحديث "الرسمي"، اي "الاوروبي" لهذه القارة يعتبر وصول الكابتن البريطاني جيمس كوك في العام ١٧٧٠ الى شواطئها واعلانه ضمها الى ملكية جورج الثالث هي البداية لولادة الكيان الاسترالي.

بمعنى آخر، نحن هنا في هذا الخطاب امام قارة خالية من الحضارة الانسانية، دخلت التاريخ مع وصول المستعمر "الابيض" ـ كوك ـ وانطلاق الاستيطان البريطاني على ارضها في شباط من العام ١٧٨٨ بقدوم الدفعة الاولى من المستعمرين (غالبيتهم الساحقة من المحكومين) على متن ١١ سفينة بقيادة الكابتن آرثر فيليب الى شواطئ ما سمي لاحقا بمدينة سيدني.

في المقابل، ان الانطلاق من المنظور الإنساني العام، واستنادا الى الحقائق المجردة، كما تشير العديد من الدراسات التاريخية والانثروبولوجية، فان الحضارة البشرية في القارة الاسترالية تعود الى آلاف السنين... هي مسار تطور مجتمع سكان البلاد الاصليين، والذين يطلق عليهم تسمية الابروجينيين.

طوال هذه الحقبة التاريخية الطويلة، صاغ الابروجينيون نمطا طبيعيا من الانتاج يعكس الظروف الملموسة للقارة، وأفرز معه تنظيماً اجتماعيا استطاع الحياة والاستمرار والتطور على مدار الزمن.

فجأة، وفي العام ١٧٨٨، تم دخول عامل استعماري، ساحق ماحق، في نمط حياتهم، بل ومصيرهم الوجودي نفسه. إذ ان الاستعمار البريطاني في القارة الاسترالية، وانطلاقا من طبيعته الاستيطانية – الإحلالية، وبغية تحقيق "المشروعية" القانونية والاخلاقية لبناء مجتمعه العنصري الخاص، طرح مقولة الارض الفارغة وغياب الحضارة الانسانية... مع التداعيات المنطقية الإلغائية لهذا المنظور.

على هذا الاساس لم يتم الاعتراف بسكان البلاد الاصليين وبحضارتهم ووجودهم التاريخي الطويل جدا في وطنهم القاري هذا... بل، وعلى العكس من ذلك، تم العمل،

وبشكل واع وهادف، لإزالة هذه "العقبة" السكانية "البدائية" من امام المشروع "الابيض" "الحضاري" في القارة "الجديدة".

من هذا المنطلق، تعرض السكان الاصليون لاستراليا الى حملة إبادة منظمة تحت شعارات وسياسات وممارسات مختلفة من قبل الاستعمار "الابيض"، وذلك لقولبة الحقائق المادية على الارض وتسويغ مشروع المجتمع العنصري الجديد.

في هذا السياق، لم يتورع المستعمرون الاوائل – "الرواد.. Pioneers" ـ من استخدام كافة الاساليب لتحقيق مآربهم في إبادة السكان الاصليين، وصولا الى استخدام ما يسمى، بلغة اليوم، اسلحة الدمار الشامل البيولوجية. فقد اشار العديد من المؤرخين الاستراليين الى قيام المستعمرين الاوائل، في العام ١٧٨٩، بنشر جرثومة الجدري في اوساط الابروجينيين، الامر الذي ادى الى مقتل نصفهم في منطقة سيدني وضواحيها، وذلك بقصد القضاء على مقاومتهم عن طريق الابادة الجماعية. وللعلم، فان الجيش البريطاني قد استخدم سابقا هذا الاسلوب نفسه في محاولاته لابادة الهنود الحمر والقضاء على مقاومتهم في اميركا الشمالية [١].

هذا، وتعود اسباب النتائج القاتلة لانتشار جرثومة الجدري في اوساط السكان الاصليين لافتقادهم المناعة الذاتية ضد هذا المرض وذلك بسبب عدم وجوده اصلا في حياتهم قبل وصول المستعمر "الابيض" و "حضارته".

إذا، فالسياق الاسترالي في هذا المجال، لا يختلف في مساره العام مع قصة الرجل "الابيض" والارض "الجديدة" التي دخلت "التاريخ" مع الاستيطان "الحضاري" الاوروبي... هذه القصة التي رأيناها مع اختلاف التفاصيل والتواريخ، في اميركا وكندا ونيوزيلندا وفلسطين وجنوب افريقيا وروديسيا وغيرها من الحالات.

وتبين المعطيات التاريخية ان المخططات الاستعمارية – الاستيطانية، للحكومة البريطانية، تجاه القارة الاسترالية، سعت لتحقيق هدفين رئيسيين: الاول استراتيجي، لتعويض الامبراطورية البريطانية خسارة اميركا الشمالية على اثر حرب الاستقلال في العام ١٧٧٦، والثاني يتعلق بحاجة عملية مباشرة، وهي ايجاد مكان جديد، بعد فقدان اميركا، لإيواء المحكومين من بريطانيا.

هكذا، وفي ظل هذه المفاهيم والسياسات والممارسات، نشأت استراليا "الاوروبية"، او لنقل بتعبير ادق: "البريطانية"، على شكل مستعمرات في مواقع مختلفة من القارة، كان اولها واكبرها مدينة سيدني.

---

١ – انظر كتاب: "المطالبة بقارة... تاريخ جديد لاستراليا"
دايفيد داي ص. ٤٢ – ٤٣.

ولغاية اواسط القرن التاسع عشر كانت الغالبية الساحقة من سكان المستعمرات الناشئة من المستوطنين البريطانيين، ومن ضمنهم شريحة من الايرلنديين. لكن، ومع توسع الاقتصاد الريفي و"فورة الذهب" (Gold rush)، وحاجة البلاد بالتالي للمزيد من الايدي العاملة، دخل القارة الآلاف من الصينيين وسكان بعض الجزر وعدد اقل من اليابانيين.

في هذه الاثناء، وفي المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر، بدأت تتضح لأصحاب القرار الاستعماري في الامبراطورية البريطانية وامتداداتها المحلية، الاهمية الاستراتيجية الكبيرة للقارة الاسترالية وضرورة السيطرة المطلقة عليها في وجه اية منافسة محتملة، وذلك من خلال بناء كيان يتسم بـ "الصفاء" العنصري "الابيض"، والبريطاني على وجه التحديد.

ومن هذا المنطلق بدأت المستعمرات بسن قوانين عنصرية معادية للصينيين... كوينزلاند في العام ١٨٧٧، جنوب استراليا، نيو ساوث ويلز وفكتوريا في العام ١٨٨١. ولاحقا تم تتويج هذه التشريعات المعادية للوجود الصيني في كونفرانس عام للمستعمرات الاسترالية عقد ما بين ١٢ و ١٤ حزيران من العام ١٨٨٩ تم خلاله الحظر التام للهجرة الصينية الى استراليا.

وفي هذا السياق التاريخي تحديدا تم تأسيس الكيان الفدرالي (الكومنولث) في العام ١٩٠١، وذلك على اساس سياسة عنصرية عامة عرفت باسم "سياسة استراليا البيضاء".

تبين مفاصل هذه الاستراتيجية الجديدة، ان العنصرية اتخذت، مع ولادة الدولة الاسترالية، طابعا نوعيا شاملا، تجاوزت الصينيين والعرق الاصفر لتشمل كل تنويعات واطياف "الآخر" غير "الابيض"... ولم تعد مقتصرة فقط على حظر الهجرة لهذا "الآخر"، بل والعمل الدؤوب للتخلص من "المتسللين" الى مجتمع "الصفوة". في هذا الصدد، اشار رئيس الوزراء الاحراري آنذاك، الفريد ديكن [٢]، وبمنتهى الوضوح، الى انه بعد طوي صفحة الابروجينيين، الذين يموتون ويتناقصون تدريجيا وصولا الى فنائهم التام، بقي امامنا موضوع "الغرباء" الذين وجدوا طريقهم الى اوساطنا ويقدّر عددهم بين ٧٠٠٠٠ و٨٠٠٠٠ شخص [٣].

هكذا، تمت صياغة "سياسة استراليا البيضاء" لتلعب دورا رئيسيا في بلورة هوية وطنية قائمة على العنصر "الابيض"، والبريطاني تحديدا... وطنية مطلوب منها انتاج وإعادة إنتاج سيطرة المستعمرين البريطانيين على القارة الجديدة في وجه أية قوة منافسة.. مثل الصين او اليابان وغيرها.

---

(٢) الفريد ديكن (١٨٥٦ – ١٩١٩) سياسي احراري محافظ، شغل منصب رئيس وزراء استراليا في الاعوام التالية: ١٩٠٣ – ١٩٠٤ ; ١٩٠٥ – ١٩٠٨ ; ١٩٠٩ – ١٩١٠.

(٣) انظر كتاب: "المطالبة بقارة.. تاريخ جديد لاستراليا" دايفيد داي ص. ١٤٦.

اما على صعيد المجتمع الاستعماري نفسه، فقد كان هدف هذه السياسة إحتواء الحركة العمالية الناشئة، ومجمل القطاعات الشعبية، وذلك بتوجيه سخطهم ضد العمالة الملونة، من جهة، وتقديم ميزات للعمالة "البيضاء"، من جهة أخرى... بحيث يتم تمتين الجبهة الداخلية لتحقيق الهدف الاستراتيجي في السيطرة المطلقة على القارة.

من هنا نلاحظ السيادة الكاملة للعنصرية في الخطاب السياسي للاحزاب الاسترالية الرئيسية، من اليمين واليسار – العمال والاحرار – وذلك لغاية سبعينيات القرن العشرين عندما تمت الإطاحة بـ"سياسة استراليا البيضاء" على ايدي حكومة غوف ويتلم العمالية.

في تاريخها، وكعنوان للهوية الناشئة، سلكت "سياسة استراليا البيضاء" محطات مختلفة، عبّرت عن المتغيرات في الظروف المحلية والخارجية التي فرضها التطور العام.

منذ البداية ولغاية الحرب العالمية الثانية ارتبطت هذه السياسة بالعنصر البريطاني تحديدا... لكن، وبعد مخاطر الاجتياح الياباني (الذي تعرضت له استراليا في الحرب العالمية الثانية) في المقام الاول – اي التحدي الاستراتيجي – ومتطلبات سوق العمل في المقام الثاني، برزت الضرورة الملحة لزيادة تعداد السكان، وذلك بهدف ملء القارة الفارغة، وبالتالي تأمين حد ادنى من العنصر البشري للدفاع عنها من جهة، وتلبية الاحتياجات الملحة للتطور الاقتصادي من جهة اخرى.

ومع عدم القدرة على تحقيق هذه الحاجة الملحة للبشر من خلال العنصر البريطاني فقط، تم توسيع مفهوم "الابيض" ليتضمن الشمال الاوروبي ومن ثم وسط اوروبا، حيث كان مبعوثو دائرة الهجرة الاسترالية يطوفون معسكرات اللاجئين بعد الحرب لانتقاء مهاجرين استنادا الى مدى بياض لون بشرتهم.

وفي تطور لاحق، املاه نضوب هذه المادة البشرية ايضا، تم توسيع اضافي لمفهوم "الابيض" ليشمل هذه المرة، وبامتعاض، الاوروبي بشكل عام، والمقصود هنا تحديدا مواطني اوروبا الجنوبية، المشكوك في درجة بياضهم، وهم، في موضوعنا، الايطاليين واليونانيين واليوغسلاف [٤].

وتحت ضغط الحاجة، والمتغيرات الدولية وانهيار النظام الاستعماري العالمي وبروز الامم والدول المستقلة في العالم الثالث، بدأت الهجرة الى استراليا تشمل بشكل متدرج، وفي ظل شروط بالغة الصعوبة والتعقيد، مواطنين غير اوروبيين بما في ذلك الاسيويين والشرق اوسطيين. وفي هذا الاطار تشير معطيات مكتب الاحصاء الاسترالي الى ان عدد

---

(٤) للعلم، فان تعبير "ووغ – Wog" الذي يطلق تحقيرا في الشارع الاسترالي على المتحدرين من اصول غير "بيضاء"، بدأ استخدامه اساسا ضد المهاجرين من اوروبا الجنوبية – ايطاليا، اليونان ويوغوسلافيا... وحاليا يستخدم هذا التعبير التحقيري بكثافة للاشارة الى الاستراليين المتحدرين من البلدان العربية.

سكان استراليا قد ازداد بين عامي ١٩٤٧ – ١٩٧١ من ٧,٦ مليون الى ١٢،٧ مليون نسمة، علما ان المهاجرين شكلوا نسبة ٦٠٪ من هذه الزيادة.

لكن، هذا التغيير في التركيبة الاثنية للمهاجرين لم يواكبه تغيير في فلسفة "استراليا البيضاء"، حيث برزت آنذاك، وفي مواجهة هذه المتغيرات السكانية، ما يسمى بسياسة "الاندماج – Assimilation" التي انطلقت من النهج العنصري السائد. وفرضت هذه السياسة على القادمين الجدد التخلي عن لغاتهم وثقافاتهم وعاداتهم وتبني لغة وثقافة وعادات وقيم المجتمع الجديد... الاسترالي... اي البريطاني المصغّر.

بالطبع، لم يكن مقدرا لهذه السياسة غير العقلانية الاستمرار، فالمعطيات التي فرضت اساسا التغيير في التركيبة الاثنية للمهاجرين فرضت نفسها ايضا، ولو بشكل متدرج، وغير مباشر أحيانا، على اسس وروحية "سياسة استراليا البيضاء".

ففي الظروف العالمية الجديدة، وبالاخص التحولات الجذرية في مواقف المجتمع الدولي ضد التمييز العنصري، وتزايد الحملات المعادية لحرب فيتنام، والتي شاركت فيها استراليا الولايات المتحدة بالاعتداء على الشعب الفيتنامي وحقه في تقرير مصيره.. وتصاعد حركة الحريات المدنية والحركات الطلابية اليسارية في الغرب... كل هذه العوامل بتداخلها شكّلت ضغطا هائلا على استراليا، التي اصبحت الى جانب روديسيا وجنوب افريقيا واسرائيل، الدول الوحيدة في العالم، آنذاك، القائمة على اساس سياسة رسمية عامة للتمييز العنصري.

من هنا، بدأت النخب الاسترالية تعي بان سياسة "استراليا البيضاء"، الرسمية والمعلنة، اخذت تفقد فلسفة وجودها، اي تأمين إعادة إنتاج هيمنة "الابيض"، البريطاني اساسا، بل، وعلى الضد من ذلك، اخذت موضوعيا تطرح تداعيات معاكسة تهدد هذه الهيمنة. فهذه السياسة اخذت تثير الانتباه المتزايد للرأي العام العالمي، وكذلك الرأي العام الاقليمي الآسيوي، حول مدى مشروعية هذا "الابيض"، ذو الملايين المحدودة، في إمتلاك قارة بكاملها، في وقت تفيض فيه البلدان المجاورة بمئات ملايين سكانها.

هكذا، نضجت العوامل الموضوعية والذاتية لتحقيق نقلة، تاريخية نوعية، في تطور الكيان الاسترالي.. فبدأ الكلام في اوساط النخبة، ومن خلفيات متباينة، بل ومتناقضة كما سنبين لاحقا، حول ضرورة تجاوز "سياسة استراليا البيضاء".

في هذه الاجواء تم في العام ١٩٦٢ منح الابروجينيين حق التصويت للمرة الاولى، وفي حزيران من العام ١٩٦٥ تخلى حزب العمال، ولو شكليا في المرحلة الاولى، عن "سياسة استراليا البيضاء"... لاحقا وفي العام ١٩٦٦، بادرت جنوب استراليا (اول ولاية) الى حظر التمييز العنصري على اساس اللون في قطاع الخدمات.

واخيراً، تم تتويج هذه الخطوات التمهيدية وغيرها في إقدام الحكومة الاسترالية

رسميا، في العام ١٩٧٣، تحت قيادة رئيس الوزراء العمالي، الزعيم التقدمي الاصلاحي غوف ويتلم، على تبني سياسة هجرة غير قائمة على اساس التمييز العنصري، متجاوزاً عملياً بذلك "سياسة استراليا البيضاء".

في هذا السياق، وتعبيراً عن هذه المتغيرات النوعية في السياسة الرسمية العامة للدولة، نشأ مفهوم "التعددية الثقافية"، المتناقض على طول الخط، ولو نظرياً، مع فلسفة وروحية "سياسة استراليا البيضاء". فعلى خلاف المفهوم الاخير الذي يربط الهوية الاسترالية بالعنصر "الابيض" والثقافة الانغلوساكسونية فقط، تؤكد "التعددية الثقافية"، بتعريفها الرسمي الوارد في "الاجندة الوطنية لاستراليا المتعددة الثقافات"، على التنوع الثقافي والاثني والديني لاستراليا المعاصرة*.

بالطبع، فان هذا التعريف العام للتعددية الثقافية يخضع في تطبيقاته الملموسة لتباينات، بل وتناقضات عديدة وذلك ارتباطاً بطبيعة الجهة التي تعود اليها ترجمة المفهوم في الممارسة العملية وفي رسم السياسات المختلفة.

وتبين التجربة الحاصلة على مدى ثلاثة عقود من تاريخ هذه السياسة العامة الجديدة وجود ثلاثة تيارات رئيسية في كيفية فهمها والتعاطي معها وترجمتها في الحياة الفعلية...

تيار عقلاني، تقدمي، منفتح ومقتنع، نظرياً وعملياً، بهذه السياسة العامة... وهو بهذا المعنى يشكل القوة الدافعة الرئيسية للتعددية الثقافية. ويرى هذا التيار بان السياسة الجديدة هي الطريق الصحيح للتعاطي مع المتغيرات الداخلية والخارجية وتمثل الاتجاه المطلوب لبناء استراليا حديثة، غير عنصرية، منسجمة مع نفسها ومحيطها الاقليمي والمجتمع الدولي.

باقراره الصادق للتنوع الاثني والثقافي يقطع هذا التيار عملياً مع التاريخ العنصري السابق لـ "استراليا البيضاء".. مع ما يعنيه هذا الامر من ضرورة موضوعية ملحة لفك الارتباط النهائي مع الملكية البريطانية والالتفات لبناء وطن جديد، مستقل وله هويته الخاصة التي تعكس تركيبته التعددية وظروفه التاريخية الملموسة.

في المقابل، يبرز تيار ثان محافظ، رجعي ومناقض على طول الخط للتيار الاول.. فهو يتعاطى مع "التعددية الثقافية" كواجهة تجميلية لقناعات عنصرية راسخة لديه في الطابع "الابيض" لاستراليا وثقافتها الانغلوساكسونية الوحيدة الجانب.. مع الإشارة الى وجود

---

* للمزيد من التفاصيل حول موقف الحكومة الرسمي من التعددية الثقافية انظر الى المعلومات الواردة في نهاية هذا الفصل (ص٢٥ ـ ٢٧) تحت عنوان: "التعددية الثقافية" من خلال الوثائق الرسمية للحكومة الاسترالية الفدرالية.